



داخل WALL STREET — رأس المال الدلالي

آمنت دائماً بمساعدة الناس على اتخاذ أفضل القرارات، وتشجيعهم على أن يتدبروا ويفكروا ويعثروا على المنطق ويمضوا بأفكارهم إلى الأمام، حيث لا يمثل التغيير منطقة اضطراب، بل تطوراً متيناً للفكر، لا أكثر.

لكن ذلك وحده لم يكن كافياً، إذ كان لا بد دائماً من العثور على الطرف المقابل المناسب، شخص قادر على أن يفهم أقصى ما يمكن فهمه، شخص مستعد لتحليل المخاطر والجوانب النبيلة والأرباح، مثل كل السادة الذين يعملون كل يوم داخل الأنظمة والقيم المالية، ويديرون العالم.

سادة WALL STREET.

ثم يحدث أنه، بينما يستطيع عرض الحسابات الفصلية أن يحدد ربحاً أو خسارة، وما يترتب على ذلك من إعادة تقييم لأسعار الأسهم، يصير ضجيج السوق، الذي تولّده أخبار أو أحداث كثيراً ما تكون غير ذات شأن في ذاتها لكنها قابلة للتأويل، مرتبطاً بالعالم الاقتصادي أو الصناعي أو السياسي أو الصحي أو الاجتماعي أو أي عالم آخر، على سبيل التبرير ليس إلا.

لا أحد قادر على أن يعطينا مؤشر المخاطر، مؤشر السلوكيات الجديدة، ومع ذلك جرت العادة على تحريك أصول القرار في مجالس الإدارة، وهي ليست دائماً חדسية ولا غريزية، يقودها رقم واحد يتكئ على رقم اثنين، حتى لا يسحب أحد الكرسي من تحت مؤخرته.

عندها يصير التبرير هو الحوكمة أو الامتثال المؤسسي، وإن لم يكف ذلك، فثمة دائماً من يُظهر ويُقصي ويُحمل الذنب لأنه، في لحظات التغيير، لم يملك شجاعة الفعل.

الواقعة التاريخية التي وقعت وانتهت.

هذا يمثل تاريخ ما كان وكيف واجهه أهل ذلك الزمان، ويعيد إلى الذهن الإيطالي الذي أسس Bank of America وطقسه في منح القروض بلا ضمانات، بمجرد النظر إلى مسامير أيدي الناس.

كان الجميع يعدّه مجنوناً، متهوراً. لكن لا ننس أنه بعد زلزال زمانه حمل خزنة ومكتباً إلى وسط المدينة، ولم يغلق المصرف أبوابه قط.

ثم إننا نعرف جميعاً ما صار إليه لاحقاً، لا بفضل ثراء مؤسسه، بل لأنه ظل يعيش بالقليل القليل حقاً وترك كل شيء للأجيال التي ستأتي بعده.

وفي كالابريا، في ذلك الزمان، حين كان الفلاحون يريدون أن يعرفوا كيف سيكون الطقس في الغد، كانوا يسألون زوجاتهم إن كانت ركبهن تؤلمهن.

هاهاهاها.

لكن ما الذي ينقص سادة Wall Street حتى الآن، شيء لا يستطيعون تعلّمه من دون أن يدفعوا ثمناً، وإن لم يكن كلفة في الحقيقة، تماماً كما لا يتخلى المرء عن كل جديد:

أ) هاتف APPLE 20، الذي لم يُطرح في السوق بعد.

ب) أحدث طراز من ROLEX، الصادر للتوّ.

ج) النسخة الجديدة من FERRARI، المحجوزة قبل سنتين.

د) بطاقات ائتمان عدّة تحمل علامة ATOMIC، من النوع الذي لا يُرى كثيراً.

هـ) دخول أرقى المطاعم الحصرية، حيث يكفي الحجز وحده ليجد لك نساء مستعدات لأن يجيبنك في الحال.

و) السكن في أجنحة مانهاتن الحصرية من الاثنين إلى الجمعة، حيث تكفي مصاريف العمارة وحدها لإعالة أربع أسر، لكل منها خمسة أطفال، سنة كاملة.

ن) مكتب شخصي على بعد مئتي متر فقط من مكان العمل، ONE LIBERTY PLAZA: إن أراد أحد أن يكلمني، ربما ذات يوم، فليصعد إلى الطابق 52 وليسأل عني.

فرديناندو فريغا — ذاك الذي يعيش على 70 دولاراً في الشهر.

ساعة Swatch ثمنها 100 دولار.

هاتف Nokia محمول، صُنع في باكستان، قيمته 50 دولاراً.

استراحات غداء في الشارع أمام عربية هوت دوغ بدولار واحد.

يستعمل المترو والحافلات، وسيارة أجرة بين حين وآخر إن كانت تقودها امرأة.

JP Morgan نتصل وتسأل إن كنت سأقوم باستثمارات أو استحواذات.

وديعة أسهم قيمتها 10.5 مليار دولار لا تبقى خاملة، وهم فضوليون.

ماذا أنتظر، إن لم أكن أنتظر شخصاً قديراً، من الجهة المقابلة من الشارع، يستطيع أن يقنعني بالاستثمار لا في الربح، بل في ثروة الأجيال. Nevada State Trust، مُدّدت مدته إلى 1000 سنة قابلة للتجديد، النقطة التي منها يكون البدء والختام.

لكن في عالم المال، كعالم Wall Street، إن لم يكن المرء قديراً حقاً وبعيد النظر، انهيار كل شيء، وبقيت وحدك، كما ولدتك أمك تماماً، لسبب واحد فقط، لمنطق واحد لا غير، تتساءل بعدها ما الذي كان ينقصك.

شجاعة الاختيار.

وسياتي الجدد، أبناء أمهات أخريات، مستعدين ليحلوا محلّك، لمجرد أنك ارتكبت خطأ واحداً دفعت ثمنه فادحاً، وأنت تظن أنك تملك كل شيء، لتكتشف أن امتلاك كل شيء قد يعني في النهاية ألا تملك شيئاً على الإطلاق.

كيف لأحد أن يتخيل أنه سيصير يوماً زميلاً ليسوع من دون أن يكون قد حالفه الحظ أولاً بالعمل لدى Gillette؟

والعلامة نفسها ليست ضرورية. ليست تلك داري. يكفي أن تكون قد عشت وفهمت أن السردية لا تنتهي أبداً ولا تبدل ثيابها أبداً.

أول منتج حقيقي في السوق هو الكلمة، وما يقوّيها ويسندها ليس إلا الصمت.

من أين يأتي هذا كله؟

من رجل لم يستأذن أحداً قط، كانت له ببساطة شجاعة اختياراته، وتعلم كيف يكون فقيراً لا لشيء إلا ليفهم كيف تُدار الثروة، وهذا ما لا يستطيع أي مقرر في هارفارد أو MIT أن يعلمه.

مؤلف واحد، بلا رأس مال، بلا شركة، بلا هيكل، عاملته محركات البحث معاملة منظومة ثقافية.

الكثافة الدلالية الفردية هي أول ناقل معرفي غير قابل للقياس يدخل الأنظمة الصناعية العالمية بعد خمسين عاماً من الفراغ الدلالي.

العامل التبعي ما زال مفتوحاً.

وحين يكون العامل التبعي مفتوحاً، على Wall Street أن تتوقف.

فرديناندو فريغا

مؤسس ومالك Gillettenarrative.com

يعيش على 70 دولاراً في الشهر.

يفكر بالأجيال.